الفارابي

كتاب
التنبيه على سبيل السعادة

حققه وقدم له وعلق عليه
الدكتور جعفر آل ياسين

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

جميع الحقوق محفوظة

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب : ٥٦٤٥ / ١١
بيروت - لبنان

الإهداء

إلى ابنتي نعماء
زهرة الياسمين العبقة
في حقل الأقحوان الساحر

المقدّمة

١ ـ التعريف العام بالكتاب وغاياته:

إنَّ المصطلح السائر لدلالة (التنْبيه) هو كون الشيء الذي لا يحتاج إلى برهانٍ زائدٍ على ما تقدّم عليه من إيضاحات ـ والمتقدّم هنا هو كتاب (تحصيل السعادة) كما أوضحنا في تحقيقنا له[1].

أمّا في هذا الكتاب فإنّنا نجد أنَّ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ.) يقرّر أنَّ **الكمال** هو الغاية الأصيلة التي يتشوقها الإنسان في تطلعه نحو حياةٍ أكثر سعادة وسلامة؛ لأنَّ السعادة الحقيقية هي آثر الخيرات طرّاً، باعتبار أنّها تُطلب لذاتها لا لشيءٍ آخر يُتوسل به إليها.

وهذه السعادة ـ في ضوء تطبيقاتها العملية ـ تتصف أفعالها بحالين: إمّا حال مذمّة، أو حال محْمدة؛ وهي في الحالين لا تتعدىٰ كونها أحد ثلاثة:

(أ) ـ أفعالٌ يحتاج الإنسان فيها إلى استعمال أعضاء بدنه وآلاته؛ كالقيام والقعود والنظر والسماع.

(ب) ـ أفعالٌ مصدرها عوارض النفس؛ كاللّذة والغضب والشوق والفرح والخوف.

(ج) ـ أفعالٌ تخضع في قيامها لعامل التمييز الذهني عند الإنسان.

وجميع هذه الأفعال ـ إذا قيستْ من وجهة نظرٍ أخلاقية ـ تخضع لما يسميه الفيلسوف الفارابي بجَوْدَة التمييز أو رداءته. ولكن من أين

لنا قُنْية هذه الجَوْدَة في التمييز؟ ـ ذلك هو الأصل وهو الغاية في مبحث التنْبيه على سبيل السعادة التي قصدها الحكيم.

فنحن لا ننال السعادة بالأفعال الجميلة ما لَمْ تكن تلك الأفعال قاصدة هادفة من جهة، ومتحققة بصناعةٍ معينةٍ من جهةٍ أُخرىٰ؛ بحيث يعود الكائن الناطق يمتلك قدرة على التمييز في أفعاله المختارة طيلة حياته بأسرها. وذلك لأنّه في فِطْرته يمتلك استعداداً لها يستطيع ـ في حال التطبيق الذاتي والتعلّم ـ أن يميز بين الصواب والخطأ، وبين الجميل والقبيح؛ في تعادلٍ تفرضه أحياناً إمكانية أحدهما على الآخر، أو غَلَبة أحدهما على الآخر.

وعلى الرغم من هذا؛ فإنَّ القوّة التي يُفطر عليها الإنسان غير مكتسبة، بينما حال التمييز تتصف بالاكتساب. والأخيرة منهما تنقسم إلى صِنْفين: أحدهما به يكون التمييز؛ إمّا جيّداً وإمّا ردئاً. . والآخر به تكون الأفعال وعوارض النفس إمّا جميلة وإمّا قبيحة. والأخير من الصِنْفين يدعوه الفيلسوف بالخُلق ـ ويحدّه «بأنّه الذي تصدر به عن الإنسان الأفعال القبيحة والحسنة» على أنْ تخضع الأفعال ويخضع التمييز للثوابت التي تلزم الإنسان بأنْ تكون أفعاله وتمييزه في كل شيءٍ؛ كي يمكن عندئذ إدامة فعل الجميل وجَوْدته معاً؛ بحيث تصير «لنا قوّة الذهن مَلَكة لا يمكن زوالها» باعتبار أنَّ «الخُلق الجميل وقوّة الذهن هما الفضيلة الإنسانية».

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية التي قصدها الفيلسوف؛ ينبغي أنْ نسلك طريقين لنقف منهما على مقاصد أبي نصر بالذات.

الأول: محاولة أنْ تصير الأخلاق الجميلة ملكة لنا؛ بحيث لا يمكن للصواب أنْ يزول إلّا بعُسْر ومشقّة.

الثاني: أنْ تكون لدينا القدرة على إدراك الصواب إدراكاً سليماً لا عوج فيه ولا ضلال.

فما هي الوسيلة التي تُحقّق لنا الوصول إلى المهيع الأوّل من هذين الطريقين؟

إنّها، وقبل كل شيء، وسيلة **الاعتياد**، والمقصود به «تكرير فعل الشيء الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلاً في أوقات متقاربة» من حيث أنَّ الفعل الجميل هو ممكن للإنسان بالقوّة قبل حصوله، وممكن بالفعل بعد حصوله، فهو إذن بالتعوّد يتحقق، وبالتطبيق يظهر وينمو.

ولكن ما هي **الآلة** التي ينبغي أنْ نستعين بها كي تقودنا إلى الفعل الجميل حقّاً؟. . يؤكد الفيلسوف هنا إنّها آلة «الوسط الأخلاقي» ـ فالأفعال متى كانت متوسطة حصل الخُلق الجميل. . وما يقوله الفارابي عن «الوسط الأخلاقي» هو ذاته الذي تبناه من قبل المعلم الأول أرسطوطاليس في كتابه المعروف (الأخلاق إلى نيقوماخوس)[٢].

فنحن حين نهدف إلى الوقوف على الوسط في الأفعال الخُلقية؛ علينا أوّلاً التعرّف على زمان الفعل ومكانه «ومَنْ منه الفعل، ومَنْ إليه الفعل، وما منه الفعل، وما به الفعل، وما من أجله وله الفعل، وجعلنا الفعل على مقدار كلّ واحدٍ من هذه. فحينئذ نكون قد أصبنا الفعل المتوسط». ـ ونظراً لاختلاف مستويات الأفعال الخُلقية؛ لذا نجد أنَّ الوسط الأخلاقي يختلف قوّة وضعفاً، سلباً وإيجاباً؛ حسب أفعاله وغاياتها.